ابن أبي شمر الغساني يقول لكاتبه المرقش: اذا نزع بك الكلام إلى الابتذال بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين نسيجه من الالفاظ ، فانك اذا حذفت ألفاظك بغير مايحسن أن تحذف به نفرت القلوب من وعيها، ومَلّته الاسماع ، واستخفته الرواة »(١):

وشك بعض الباحثين في هذه الروايات (٢) ، ولكننا مع هذا الشك نقرر ان هذه الروايات تعكس جانباً من فهم العرب النقد في مرحلة التدوين الاولى ، وليس بعيدا أن تصدر مثل هذه الاحكام قبل الاسلام بعدما رأينا كثيراً من الدلائل التي تزيدنا ذهبنا اليه: يضاف إلى ذلك ان هذه الروايات ليس فيها التعليل القائم على النظرة العلمية لكي ننكرها وانما هي احكام عابرة أطلقها الشعراء والمحكمون ، معتمدين على الذوق الفطري الذي عرف به العرب: وكان شعراء اليونان بعد ان انتهى عصر الملاحم وازدهر الشعر الغنائي في القرن السادس قبل الميلاد يصدرون بعض الاحكام التي تعبرّ عن رأي ذاتيّ أبعد مايكون عن القاعدة العلمية. ومعنى ذلك أن الشعراء شاركوا في حركة النقد القديم، فلم لاينطبق ذلك على العرب وهم أهل علم ودراية وذوق ورواية، ولهم خطب رائعة وشعر بديع؟

واذا ماانتقلنا إلى العصر الاسلامي رأينا ايمان العربي بالقرآن الكريم واعتناقه الاسلام كان حكما نقديا أدركه بذوقه السليم وفطرته الصافية، ورأينا الرسول الكريم محمداً – صلى الله عليه وسلم – يعنى عناية عظيمة بأحاديثه وخطبه،وقد أثر عنه انه كان يقول «لايقولنّ أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل :لقست نفسي» ،كراهية أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه(٣)؛ وكان يستمع إلى الشعر ويقول: «ان من البيان لسحرا» :وكان الخلفاء الراشدون والصحابة يستمعون إلى الشعر ويبدون رأيهم فيه،

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٤٠.
(٢) ينظر تأريخ النقد الادبي عند العرب ص ٤١٩، ودروس في البلاغة وتطورها ص ١٠ .
(٣) الحيوان ج ١ ص ٣٣٥ .

واذا مانظرنا إلى العصر الاموي رأينا الحياة الادبية تزدهر، وكان الخلفاء يعقدون المجالس ويستمعون إلى الشعراء ويعلقون على بعض مايسمعونه،ومن ذلك ان ابن قيس الرقيات أنشد عبد الملك بن مروان قصيدته التي يقول فيها:

يأتلق التاجُ فوق مفرقه على جبين كأنّه الذهب

فلما سمع عبد الملك ذلك غضب وقال له :وقد قلت في مصعب بن الزبير:

انّما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماء

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم، وأعطيتني من المدح مالا فخر فيه،وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة(١).

وكان المؤدبون يقومون بدور عظيم في تعليم اللغة وأدبها ورسم القواعد العامة التي تفضي إلى اتقان اللغة وتلوقها : وكان هؤلاء المؤدبون يخوضون في موضوعات كثيرة، وليس من شك في ان الفصاحة والبلاغة كانت من تلك الموضوعات:

وشهد القرن الثاني الهجرة حركة ادبية واسعة ،وكانت الحواضر تزخر بالعلماء، وبلغت حركة التدوين والتأليف ذروتها في العصر العباسي الاول، وظهرت كتب التفسير واللغة والادب والتأريخ تحمل تراثا ضخما حافلا بكل طريف، وكانت البلاغة احد العلوم التي اهتم بها العرب منذ عهد مبكر ، وقد دفعتهم إلى العناية بها أهداف ومؤثرات كثيرة :

الاهداف :

ان الحياة الجديدة التي عاشها العرب بعد ان خرجوا من جزيرتهم دفعتهم إلى العناية باللغة والادب، لانهم وجدوا تحديات كثيرة تعرضت لها العربية بعد أن دخل في الاسلام قوم أرادوا هدمه وتقويض دولة العرب. وكانت الجهود العظيمة التي بذلها المخلصون ابانا بظهور علوم اللغة التي اخذت تتطور جيلا بعد جيل حتى أصبحت سامقة لاتقدر عليها هوج الاعاصير:

---

(١) نقد الشعر ص ٢١٤.